رأى فى اشتقاق كلمة صوفى

الدكتور كامل الشيبي

أ ـ من الامور التى كاد يستريح اليها الباحثون اشتقاق كلمة صوفى ونسبتها الى الصوف ، أما محاكاة للرهبان السائحين فى بلاد الاسلام[١] ، أو شعوراً بالتواضع الشديد واظهارا له[٢] مع التوجه الكلي الى الله . ولكن الملاحظ أن كل ما قيل فى اثبات نسبة الصوفى الى الصوف قد أورده أصحاب كتب التصوف ثم ردوه ؛ فالسراج (ت ٧٨/٩٨٨) ناقش ما قيل من انه اسم أحدثه البغداديون ثم أحاله[٣] ورد عليه بأنه قد سبق البغداديين ثم وصل به الى أيام الحسن البصرى (ت ١١٠/٧٢٨-٩) ولكنه لم ينكر انه متصل بظاهر اللبسة[٤] وانما قارن بين الصوفيين ، من حيث نسبتهم الى اللباس ، والحواريين الذين نسبوا الى لباسهم الابيض[٥] . وكذلك وافق الكلاباذى (ت ٣٨٠/٩٩٠) على أن النسبة الى التصوف تعبر عن ظاهر أحوال المتصوفة ولكنه لم يوافق على أن الصوفية لبسوا الصوف وحده ، وانما أضاف اليه الشعر . ولما عرض لاحتمالات الاشتقاق ، وجد نفسه محاصرا بكلمة « صوف » فوافق عليها موافقة غير قاطعة[٦] . واذا عرض القشيرى (ت ٤٦٥/١٠٧٤) للمسألة ووجد نفسه مواجها بكلمة « صوف » أيضا أعرض عنها قائلا : « فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف »[٧] وكذلك فعل الهجويرى المعاصر للقشيرى[٨] .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٣٦ ، حلية الاولياء ٧/٣٤ .

(٢) فى التصوف الاسلامى : لنيكلسون ، غير ان المؤلف لم ينكر الغموض الذى أحاط بأصل الكلمة راجع الكتاب نفسه ص ٦٨ .

(٣) اللمع ص ٢١ .

(٤ ، ٥) المصدر نفسه ص ٢٠ ، ويرد فى صحيح البخارى ان الحواريين سموا كذلك لبياض ثيابهم (كتاب فضائل اصحاب النبى ٦٢ : ١٣) .

(٦) التعرف ص ٥ .

(٧) الرسالة القشيرية ص ٦٤ .

(٨) كشف المحجوب ص ٣٤ ـ ٣٥ .

أما غير الصوفية من أصحاب الكتب فقد عالجوا الامر على هذا النحو نفسه ؛ فقد أورد البيرونى (ت ٤٤٠/١٠٩٨-٩) احتمال اشتقاقه من « صوف التيوس » غير انه رده واختار غيره[٩] . وعرض السمعانى (ت ٥٤٣/١١٤٨) للالفاظ التى تحتمل الاتصال بالصوفية واورد كلمة « صوف » ولكنه لم يقف عليها وانما استمر يسرد الاحتمالات الاخرى[١٠] كما فعل الزمخشرى (ت ٥٣٨/١١٤٤) من قبل[١١] . أما ابن الجوزى (ت ٥٩٧/١٢٠١) ، ولم يكن صوفيا أيضا ، فقد قرر فى نسبة الكلمة الى الصوف انه « يحتمل »[١٢] ولكنه صحح شيئا آخر[١٣] . وجاء ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥-٦) ليقول : « والاظهر - ان قيل بالاشتقاق - انه من الصوف ... »[١٤] فلم ينبىء قوله بالقطع .

ب - واذا استعرضنا الاصول التى نسب اليها التصوف فى رأى المتصوفة أنفسهم ، وجدناها متعددة وتكاد تشمل كل كلمة يدخل فى تكوينها حروف الصاد والواو ثم الفاء : ذكروا الصفاء والصفوة والصف والصفة والصوفانة وصوفة القفا والصوفة المرمية والصوف الذى على ظهور الضأن ، وزاد البيرونى كلمة « سوفيا » اليونانية[١٥] . ثم أوردوا « صوفة » بوصفها لقبا لجماعة من الزهاد اليمانين قبل الاسلام أعرض عن ذكرها سائر المتصوفة السابقين ولم يذكرها منهم الا أبو نعيم (ت ٤٣٠/١٠٣٩) فى معرض سرده للاحتمالات حسب[١٦] .

والحق أن هذا أمر يستوقف النظر ، « صوفة » هى الكلمة الوحيدة التى تحتمل الوقوف الى جانب الصوف فى الاشتقاق ، وقد ذكرها الطبرى (ت ٣١٠/٩٢٢-٣) فى تاريخه - كما سيأتى - عن ابن الكلبى (ت ٢٠٤

---

(٩) تحقيق ما للهند من مقولة ص ١٥ .
(١٠) الانساب ورقة ٣٥٧ب .
(١١) انظر اساس البلاغة ٢/٢٢ .
(١٢ ، ١٣) تلبيس ابليس ص ١٦٢ .
(١٤) المقدمة ص ٤٦٧ .
(١٥) تحقيق ما للهند من مقولة ص ١٥ .
(١٦) حلية الاولياء ١/١٧ .

/٨١٩-٢٠) وكان أقدم حجة فى تاريخ العرب قبل الاسلام • واذا كان أصحاب كتب التصوف لا يوافقون على أن الصوفى من الصوف فلماذا لم يوردوا الكلمة ؟ ولماذا أوردها أبو نعيم وحده ؟

وقبل أن ندخل هذا الموضوع لابد أن نشير الى ان من الصوفية من لقب الكتّانى[١٧] (أبو بكر ت ٣٢٢/٩٤٣) المُسوحى[١٨] • - من مسوح الرهبان - والخلقى (عبدالملك ت ٣٥٩/٩٦٩-٧٠)[١٩] نسبة الى لباسهم دون وصل لهم بالصوف وان كانوا من الصوفية فعلا • بل ان الكلاباذى ليذكر أن صوفية الشام القدماء سموا بالجوعية كالقاسم بن عثمان الجوعى[٢٠] (ت ٢٠٠/٨١٥-٦) ، ويبدو من أقوال ابى سليمان الدارانى (ت ٢١٥/٨٣٠) انه كان ينتمى الى هذه الجماعة[٢١] •

كل هذه الامور لا تنفى نسبة الصوفى الى الصوف ولكنها فى الوقت ذاته تثير شيئا من الريبة ولاتوحى بالثقة • واىشىء اكثر اثارة لذلك من تشكيك الصوفية انفسهم فى نسبة الصوفى الى الصوف ؟ صحيح ان أبا هاشم الكوفى (ت ١٥٠/٧٦٧) لقب بالصوفى بناء على زهده ولبسه الصوف ، غير ان ابن سعد (ت ٢٣٠/٨٤٤) ذكر رجلا من ثقات الرواة اسمه الحجاج بن عثمان الصواف[٢٢] • ويدخل هذا المدخل أيضا انه كان من رواة الطبرى رجل اسمه ابن الصوفى الطالبى[٢٣] ، وكذا ذكر السمعانى كثيرا من المحدثين

---

(١٧) طبقات الصوفية ص ٣٧٣ ، وهو ابو بكر محمد بن على بن جعفر اصله من بغداد صحب الجنيد (ت ٢٩٨/٩١٠) وابا سعيد الخراز (ت ٢٧٩/٨٩٣) وابا الحسين النورى (ت ٢٩٥/٩٠٧) واقام بمكة مجاورا الى ان مات •

(١٨) هو ابو على الحسن بن المسوحى •• حكى عن بشر بن الحارث (ت ٢٢٧/٨٤١) وروى عنه الجنيد وهو استاذ أكثر البغداديين راجع تاريخ بغداد ٣٦٦/٧ •

(١٩) راجع تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ٣١٧/١ •

(٢٠) التعرف ص ٦ •

(٢١) اللمع ص ١٩٥ حلية الاولياء ٦٨/٩ •

(٢٢) طبقات ابن سعد ج ٧ : ٣١/٢ •

(٢٣) تاريخ الطبرى ١٥١٦/٣ ، حوادث سنة ٨٦٤/٢٥٠ •

الذين اشتهروا بلقب الصوفى[٢٤] ، وكل هؤلاء لم يكونوا من أهل الحال . يضاف الى ذلك ان ابن خلكان (ت ٦٨١/١٢٨٣) ذكر رجلا من الخوارج الاباضية كان يلبس الصوف ويظهر التزهد[٢٥] وذكر النجاشى (ت ٤٢٧ أو ٤٤٠/١٠٣٦ ، ١٠٤٩) من الشيعة ثلاثة لقبهم بالصوفى هم الحسين بن عنبسة واحمد بن يحيى بن حكيم الازدى واحمد بن كثير ، ولم يكن لاحد منهم اتصال معروف بالتصوف[٢٦] . وعلاوة على هذا كله فقد كان من المعتزلة، وهم على طرفى نقيض مع الصوفية ، عيسى بن الهيثم الملقب بالصوفى[٢٧] (ت ٢٤٥/٨٥٩) ولم يعرف عنه التجرد للتصوف .

ج ـ فما حقيقة الامر اذن ؟ لماذا لم يعرض الصوفية لعبارة صوفة الجاهلية ؟ لماذا يبلغون بالتصوف الى أهل الصفة باعتبارهم منقطعين الى الله فى صفة مسجد رسول الله ، ويتركون الجاهليين المنقطعين الى الله ممن يقرب لقبهم من وصفهم ؟ المسألة واضحة ، انهم ـ وهم أهل التقية المؤثرون للعافية[٢٨] والمعرضون لاعتبارهم من أصحاب البدع ـ لم يشاؤوا أن يصلوا مشربهم بأصل جاهلى . واذا كانوا تحاموا ذكر الشيعة والاتصال بهم ـ مع أخذهم منهم كثيرا من قواعدهم[٢٩] ـ لخوفهم من السلطان ، فأحر بهم أن يتجنبوا الخوض فى الجاهليات . واذا كان التشيع يعرضهم لسخط الحكومة وحدها فان الجاهلية تجعل منهم هدفا لغضب الحكومة والامة معا . ولهذا وجدنا ابا نعيم ـ الذى جعل الشيعة من أهل التصوف وروى عن الائمة أخبارا توثق هذا الوصل[٣٠] ـ انفرد بذكر « صوفة » من بين

---

(٢٤) الانساب ورقة ٣٥٧أ مادة صوفى .

(٢٥) وفيات الاعيان ١/١٠٨ ، هو أبو يزيد مخلد بن كيداد قتل سنة ٣٣٤/٩٤٤ .

(٢٦) رجال النجاشى ص ٤٩ ، ٥٩ ، ١٠٦ .

(٢٧) طبقات المعتزلة لابن المرتضى ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٧٨ .

(٢٩ ، ٢٩) للكاتب رسالة فى هذا الموضوع نال بها درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ .

(٣٠) راجع حلية الاولياء ١/٨٦ ـ ٧ . لعل السبب فى هذه العاطفة الشيعية من ابى نعيم هو الولاء القديم من اجداده لعبدالله بن معاوية بن

أصحاب كتب التصوف[٣١] ، فأظهر صوفة الجاهلية لما أظهر صلة التشيع بالتصوف ، فكان بذلك يضرب مثلا معبرا عن الصراحة التى لم يألفهـــا الصوفية • ومن الطريف ان الباحثين الغربيين أهملوا هذا الامر لاهمال الصوفية له ولم يتطرق اليه من الشرقيين الا زكى مبارك[٣٢] وكرد على[٣٣] وباحث يهودى هو الدكتور اسرائيل ولفنسون[٣٤] سردا للاحتمالات ، كما فعل السابقون من مؤرخينا ، مع استثناء الشيخ مصطفى عبدالرزاق الذى استعرض الاحتمالات السابقة واختـار ما اختاره المستشرقون من اشتقاق الصوفى من الصوف[٣٥] •

د ـ وبعد ، فمن صوفة ، وما هى ؟

ذكـر المؤرخون ان بنى صوفـة كانوا جماعة من العرب يتزهدون يتقللون من الدنيـا[٣٦] ، وكانوا قومـا يعتقد النـاس ولا يتهم : فلم يكن

عبدالله بن جعفر بن أبى طالب (انظر البداية والنهاية ١٢/٤٥) الذى قاد غـلاة الشـــيعة بين سنة ١٢٦ ـ ١٣٠/٧٤٣ ـ ٤٨ فى الـكوفة والمدائن واصطخر (انظر مقاتل الطالبين لابى الفرج الاصـفهانى ص ١٦٥ وفرق الشيعة ٢٧ ـ ٣٥ والملل والنحـل ١/٢٤٥ .. الخ) يضاف الى هـذا ان الشيعة قد ذكروا لابى نعيم كتابين يجعلانه من مؤيدى التشيع ومحبذيه (انظر معالم العلماء لابن شهر اشوب (ت ٥٨٨/١١٩٢) حيث ذكر ان لابى نعيم كتابى « تنقية المطهرين وتربية الطيبين » و « ما نزل فى امير المؤمنين (علي) عليه السلام [من آيات] » (ص ٢٩) • ومما يجب ان يذكر هنا ان محمد باقر الخوانسارى (ت ١٢٢٦/١٨١١) قد اشار الى كون محمد تقى المجلسى (والد محمد باقر المجلسى الفقيه الشيعى المعروف (ت ١١١١/ ١٦١٩) من نسل ابى نعيم المذكور (راجع روضات الجنات ص ١٢٩) •

(٣١) حلية الاولياء ١/١٧ •

(٣٢) التصوف الاسلامى ١/٤٩ ـ ٦٥ •

(٣٣) الاسلام والحضارة العربية ١/٢٩ •

(٣٤) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨٣ •

(٣٥) مجلة المعرفة (عدد يونيو ١٩٣١) ص ١٥٢ •

(٣٦) اساس البلاغة ٢/٢٢ السـمعانى : ورقة ٣٥٧ ب ، تلبيس ابليس ص ١٦١ ، الفيروز ابادى (القاموس المحيط ٣/١٦٤) • ويجب ان نذكر هنا ان الزمخشرى ـ وكان معتزليا متشددا متظاهرا بالاعتزال ـ التفت الى التشابه بين نسك آل صوفة وحال المتصوفة فاشار الى احتمال أخذ الصوفية لقبهم من اولئك الجاهليين فقال : « لعل الصوفية نسبوا اليهم

الحجاج يرمون الجمار الا بحضور رجل منهم ليتقبل الله منهم[٣٧] ، وكانت « صوفة » غريبة عن مكة والحجاز ، وكان اسمهم برواية ابى عبيدة (ت٢١٣/٨٢٨) (مع اضافة صوفان وصفوان الى صوفة)[٣٨] علما على من « ولى من أمر البيت شيئا [وكان] من غير أهله[٣٩] • وكان اول بنى صوفة رجلا من اليمن اسمه الغوث بن مر بن طابخة ، حدثنا عنه ابن الكلبى انه سمى كذلك « لانه ما كان يعيش لامه ولد فنذرت : لئن عاش لتعلقن براسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة • ففعلت ، فقيل له « صوفة » ولولده من بعده »[٤٠] • وهكذا جاءت صوفة من الصوف الذى علق برأس الغوث بوصفه ضحية لله • ولما عرض الازرقى (ت بعد سنة ٢٤٤/٢٥٨ ـ ٩[٤١]

نشبيهاتهم فى النسك والتعبد » فكان له ـ بعد ابى نعيم ـ فضل السبق الى هذه الملاحظة ، وعن الزمخشرى أخذ معاصروه ، ومنهم السمعانى وابن الجوزى ومن جاء بعدهم •

(٣٧) الطبرى ١/١٠٩٥ ـ ٦ ، وعن كيفية الافاضة انظر تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على •

(٣٨) كذا أساس البلاغة ٢/٢٢ وتلبيس ابليس ص ١٦١ •

(٣٩) تلبيس ابليس ص ١٦١ •

(٤٠) تلبيس ابليس ص ١٦١ • ومما يسترعى النظر التقارب بين عبارة « ربيط البيت » و « الرباط » الذى صار علما على مجتمع الصوفية • وبصرف النظر عن استعمال الكلمة الاخيرة للدلالة على المعسكرات ، فان الامر يحتاج الى دراسة خاصة • وفيما عدا ذلك فان فرعا من مذحج اليمانية كان ينتمى الى العائذ بالله بن سعد العشيرة وذلك يذكر بالغوث بن مر ووصفه بربيط البيت (راجع رجال النجاشى ص ١٦٦) • يضاف الى ذلك كله ان الزمخشرى ، الذى التفت الى دلالة صوفة ومشابهتها لمشرب الصوفية ، كان يلقب « جار الله » لانه « كان قد سافر الى مكة وجاور بها زمانا » (راجع ابن خلكان ٢/١٢٠) فلعل جوهر التفاته الى هذه النقطة جاء من ممارسته لهذا الامر بنفسه • ومن الاهمية بمكان ان نشير الى ان اهل مكة فى الجاهلية كانوا يسمون « أهل الله » وتلك اشارة الى المبدأ نفسه ، وقد ذكر الازرقى ان النبى (ص) لما استعمل عتاب بن أسيد على مكة قال : استعملتك على اهل الله فاستوص بهم خيرا ، يقولها ثلاثا (تاريخ مكة ص ٣٨٠) •

(٤١) فيما يتعلق بتاريخ وفاة الازرقى انظر تاريخ مكة (ص ٢٨٣) ، حيث ذكر سنة ٢٤٤ مقترنة باحداث عاصرها •

لهذا التقليد الجاهلى ، على خلاف فى « صوفة » الاول ، لم يملك نفسه من وصفه بعبارة : « الصوفى[٤٢] . ومن هـذا هرب المتصـوفة » واعرضوا عن ربط مشربهم ، وهو الانقطاع الى الله تعالى ، بهذا الجاهلى الذى يصلح أن يكون سلفا لهم باللفظ وبالمعنى معاً .

وهكذا نبدأ البحث : لقد كانت ام الغوث تريد أن تقول : ان ابنى هذا حمل من هَدْي الكعبة ؛ فهو بحكم المتقرب بدمه الى الله ، ان ابقاه كان مَنّاً منه ، وان اماته فهو له . فلننظر فى هذا الموضوع الجديد ولنحاول البحث عما لعله يسنده من اخبار وآراء ونصوص بادئين بالجامع المشترك بين الالفاظ التى رشحت اصلا للتصوف .

هـ ـ ذكر ابن سعد ان ابا موسى الاشعرى ـ ممثل على صـفين ـ كان يحدث ابنه عن ذكرياته أيام الاسلام الاول فيقـول له : « يا بنى لو رأيتنا ونحن مع نبينا (ص) اذا اصابتنا السماء وجد منا ريح الضان من لباسنا الصوف »[٤٣] . وهكذا بدأ الضأن يبدو . ثم يضم الى ذلك ما رواه الكلاباذى عن أهل الصفة من أن الرجل منهم ـ اذا عرق ـ كان « يخرج منه مثـل ريح الضان اذا أصابه المطر »[٤٤] وبهذا يتصل أهـل الصفة ـ وكانوا يلبسون الصوف ـ بصوفة المتصلة بالضان . وتشترك الصفة ـ فى الاشتقاق ـ وصوفة فى ان افراد كلتا الطائفتين كانوا منقطعين الى الله وانه كان عليهم ما يضيفهم الى الهدى المسوق الى الكعبة وان ارواحهم كانت فى تصرف الله . واذا كانت صوفة واهل الصفة ضان الله فان علينا ان نلحق كلمة صوفانة ، التى ترعاها الماشية بهذا السلسلة ضرورة . وتتصل بهذه

---

(٤٢) تاريخ مكة للازرقى ص ١٢٨ سطر ١٩ ، وصـوفة فى رأى الازرقى كان اخزم بن العاص الذى قيل : انه تصدق بابنه الغوث على مقولة ان زوجه ـ وكانت من جرهم : اصهار اسماعيل ـ ع ـ « كانت عاقرا » فنذرت : ان ولدت غلاما ان تصدق به على الـكعبة عبدا لها يخدمها ... فولى الاجازة بالناس لمـكانه من الـكعبة ... وولده من بعده » (ص ١٢٨ ـ ٩) . ولا شك ان القصة لا تستقيم الا على أساس ان الغوث كان صوفة لا ابوه .

(٤٣) ابن سعد ٤ : ١/ ٨٠ ، مسند ابن حنبل ٤/ ٤١٩ .

(٤٤) التعرف ص ٣٣ ، وقد اورد ابن حنبل خبرا مثل هذا عن أصحاب رسول الله عموما ، انظر المسند ١/ ٢٦٨ ـ ٩ .

السلسلة ايضا عبارة « الصف » التى تعبر عن مقـــام اهل الصفة باعتبارهم الصف الاول من المسلمين المنقطعـين الى الله • ثم تلحق بهذه المجموعة ايضا عبارة « الصفوة » التى هى صفة لهم ، و « صوفة القفا » التى اهملوا حلاقتهم لانشغالهم بالاتجاه الى الله « الصوفة المرمرية » التى يشبهون بها فى اهمالهم مظهرهم ومجاهدتهم • اما « الصفاء » فلفظ مخترع بأخرة كما هو معروف[٤٥] • بقيت « سوفيا » وهى الحكمة اليونانية ، وقد عرض لها نولدكه اعتماداً على البيرونى [٤٦] ونفى احتمال الاشتقاق منها [٤٧] • على انه يحتمل انها دخلت هذا المشـرب بعد اتصال التصوف بالثقافة الفلسفية (التى انتشرت فى القرنين الثالث والرابع خاصة) وبخاصـة اننا وجدنا اخوان الصفا ينعتون انفسهم بالصوفية مع اعترافهم الكامل بالفلسفة اليونانية ويقرنون به السير (بمعنى السلوك الخاص بهـــم)[٤٨] • ويعزز ذلك ايضـــا ان عبـدالرحمن بن عمر الصوفى المنجم (ت ٣٧٦/٩٨٦) لقب كذلك بناء على اتصاله بالفلسفة اليونانية واخذه معرفته عن اليونانيين وعن غيرهم[٤٩] ، ولم يكن من اهل الحال • ولا بد ان نذكر جابر بن حيان ـ ولم يكن معروفـا بالزهـد ولا بالتصوف ـ قـد أطلق عليـه هـذا اللقب ايضا[٥٠] مع انه عاش فى القرن الثانى الهجـرى (الثامن الميـلادى) • ولهذا فان تهافت وجوده ، ان صح يستند الى تحليل لقبـه ، يأتى مـــن

---

(٤٥) يلاحظ ان اخوان الصفا استتروا تحت هذا الاسم فى منتصف القرن الرابع ووصفوا انفسهم ـ فى بداية رسائلهم ـ بالصوفية ، واستعملوا كلمة « الاصفياء » ـ وهى قريبة من الصـفوة مبنى ومعنى ـ للدلالة على الانبياء (الرسائل ٣١٧/٢) •

(٤٦) فى التصوف الاسلامى ص ٦٦ ـ ٦٧ •

(٤٧) راجع الصوفية فى الاسلام لنيكلسون وترجمة نورالدين شريبة ص ٣ ـ ٤ •

(٤٨) رسال اخوان الصفا ٣١٧/٢ •

(٤٩) له كتاب صور الـكواكب ، وقد ذكر ابن الاثير انه كان منجم عضدالدولة البويهى (ت ٣٧٢/٩٨٢) وان عبدالرحمن الصوفى ولد بالرى سنة ٢٩١/٩٠٣ ـ ٤ (التاريخ ١٧/٩) •

(٥٠) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٨ •

استحالة اطلاقه عليه فى ذلك العصر الذى عاش فيه .

و ـ اما وقد استعرضنا الالفاظ التى رشحت اصلاً للتصوف ، فان علينا أن نفرغ لأخراها ـ صوفة ـ لنمتحن ما فيها من امكانيات . ذكر المسعودى (ت ٣٤٦/٩٥٦) ان قاضيا استخفه الطرب لغناء جاريته فلم يدر ما يصنع ، فاخذ نعله فعلقها فى اذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف اذنه ـ والنعل معلقة فيها ـ ويقول : « أهدونى الى البيت الحرام ، فانى بَدَنة » حتى أدمى أذنيه [٥١] . فهذا رجل اسلامى يوضح كيف أدت به العاطفة الجياشة وصفاء الروح وشدة التأثر الى ان ينذر نفسه لله . ويتصل هذا الوجه ، الذى يبلغ بالواجد الى التشبه بالبدن ، الوأد الجاهلى الذى قرن احيانا بهذا التشبيه ، وذلك بالباس الفتاة جبة من صوف او شعر ، بوصفها شاة ، ورعيها مع الغنم ست سنوات ثم بتطبيبها وتزيينها قبل دفنها فى الرمال [٥٢] . ويؤدى هذا بنا مضطرين الى قصة اسماعيل وعلاقته بالضحية والى الذبيح الاخر عبدالله ابى محمد (ص) الذى نذر ابوه عبدالمطلب ان يتقرب الى الله بتضحية عاشر ابنائه ، ان رزقه الله بهذا العدد من البنين [٥٣] ، ثم استبدل التقرب بالبدن بذبحه [٥٤] . ويبدو ان هذه الظاهرة كانت عرفا اجتماعيا فى جزيرة العرب ، ومن هنا وجدنا امرأة مسلمة نذرت ان تنحر ابنها عند الكعبة ، فلما جاءت به لتفعل ، لم ينقذ الطفل من الموت الا فتوى افتى بها مروان بن الحكم (ت٥٦/٦٨٥) من انه « لا نذر فى معصية الله » [٥٥] .

---

(٥٠) مروج الذهب ٢/١٣٤ ، وقد ذكر ابن حنبل ان رسول الله اشعر بدنته من الجانب الايمن ثم سلت الدم عنها وقلدها بنعلين (راجع المسند ١/٢١٦ وكذلك البخارى كتاب الحج ٢٥ : ١١٢) .

(٥٢) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب للآلوسى ٣/٤٣ .

(٥٣ ، ٥٤) الطبرى ١/١٠٧٣ ، وانظر الملل والنحل (٣/٢٨١) حيث روى الشهرستانى الحديث : انا ابن الذبيحين ، وانظر تعليق المحقق : احمد فهمى ابراهيم فى هامش ص ٢٨ ـ ٢ وعيون اخبار الرضا لابن بابوية القمى ، ص ١١٧ ـ ٨ .

(٥٥) الطبرى ١/١٠٧٣ ، وراجع فى المبدأ نفسه جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمد الخوارزمى (ت ٦٦٥/١٢٦٧) ، طبع حيدر اباد ١٩٣٢ ، ١/١٨ .

ومن ابدع الامثلة على رسوخ هذا التقليد فى المجتمع العربى منذ القديم ما أورده ابن سعد عن بداية وقعة بدر من ان النبى لما اخبر اصحابه بان الله امدهم بالملائكة[٥٦] ، ربطا على قلوبهم ، زادهم بانها نزلت « والصوف فى نواصى خيلهم » وأمرهم بقوله : « ان الملائكة قد سومت فسوموا » فكان ان « أعلموا بالصوف فى مغافرهم وقلانسهم »[٥٧] . والتفسير الوحيد لهذا الاعلام بالصوف ـ فى رأينا ـ هو المبايعة على الموت ، وكيف تكون المبايعة على الموت اعلاماً بالصوف دون ان تتصل بالضحية الى رمز بها الى الفداء ؟! . ويتصل بهذا ايضا ان على ابن ابى طالب كان ، فى هذا اليوم ، معلما بصوفة بيضاء[٥٨] لافخرا بالفروسية وانما مبايعة لله على الموت بوصفه بدنه على الاساس الذى مر .

ومن المهم جدا ان نلاحظ شعائر الحج عند العرب ، فبالاضافة الى ما ينقله نيكلسون من ان حجاج الجاهلية كانوا يطوفون البيت« وهم مقودون كالجمال بحلقات فى انوفهم »[٥٩] وما يذكره الازرقى انهم كانوا يفعلون ذلك عراة كالحيوان[٦٠] ، فانها فى صورتها الاسلامية اعادة لقصة اسماعيل بالذات : يطوف الحجاج البيت فى لباس هو اشبه بالكفن[٦١] ثم يتركون

---

(٥٦) وردت الاشارة الى هذا الامداد فى القرآن : الانفال ٨ : ٩ .

(٥٧) ابن سعد ٢ : ٩/١ ، وراجع ، بالنسبة الى معنى التسويم ما جاء فى تاريخ العروس (٣٥٠/٨) ان السومة العلامة تجعل على الشاة وفى الحرب أيضا ، وان معنى التسويم خاص باطلاق الماشية ترعى حيث تشاء .

(٥٨) ابن سعد ٢ : ١٤/١ (راجع فيه مبايعة علي الصريحة للرسول على الموت يوم احد) .

(٥٩) فى التصوف الاسلامى ص ٤٥ (نقلا عن جولدتسيهر فى مجلة فينا الشرقية مجلد ١٣ ص ٣٦ تعليق ٣) .

(٦٠) تنبه الى هذا المعنى محمد بن ابى جمهور الاحسائى المتكلم الشيعى (ت بعد سنة ١٤٩٦/٩٠٢ ـ ٧) فاشار الى ثوب الاحرام مقترنا بقوله : « واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليذكر معه الكفن ودرجته فيه ، ولعله اقرب اليه ... » المجلى ، طهران ١٣٢٩ ص ٢٨١ .

(٦١) انظر الى ما يرد فى البخارى من قول الرسول (ص) : « انى قد لبدت راسى وقلدت هديى فلا احل حتى انحر » كتاب الحج ٢٥ ، باب من لبد راسة عند الاحرام وحلق : ١٢٦ . ومن الطريف ان ابا القاسم الفندرسكى الفقيه المتصوف المتفلسف (ت بين سنة ١٠٤٦ و١٦٣٦/١٠٥٢

شعرهم يطول وأظافرهم تنبت ، ولا يحل لهم أن يقصروا أو يلقوا ثياب الاحرام قبل ان يضحوا بحيوان[٦٢] على الصورة التى رسخت فى المجتمع العربى – ثم فى المجتمع الاسلامى – من تضحية ابراهيم بولده بناء على رؤيا الهية ثم افتدائه « بذبح عظيم »[٦٣] ويجب ان نشير هنا الى ان قصة

و ١٦٤٢) لم يكن من رأيه حج البيت ، وعلل ذلك بأنه يمنعه وجوب التضحية ، وان عليه ان يذبح الضحية بيده – ولم يكن ذلك من مذهبه (انظر رياض العارفين لرضاقلى هدايت ص ٢٧٦ ، وكذا دبستان المذاهب ص ٦٧ ، وراجع فى المبدأ نفسه البخارى ، كتاب الحج باب « من نحر بيده » ٢٥ : ١١٧ .

(٦٢) وقد ذكر الازرقى ان جوهر ذلك كان يكمن فى الثياب ، وهو مبدأ يحتمل المناقشة ليرد الى التشبه بالضحية (ص ١١٨ – ٩) . ومما يذكر ان الدكتور جواد علي تطرق الى هذا الموضوع فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولكنه لم يناقشه (انظر ٥/٢٢٤ – ٦) .

(٦٣) قص القرآن قصة ابراهيم بعد خلافه مع قومه فقال : « فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين » « رب ، هب لى من الصالحين » ، فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى ، قال : يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى . فقال : يا ابت ، افعل ما تؤمر ، ستجدنى ، ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما ، وتله للجبين ، وناديناه ان : يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا هو البلاء العظيم . وفديناه بذبح عظيم ... (الصافات ٣٧ : ٩٧ – ١٠٧) . ومنها يتبين ان مولد اسماعيل كان بناء على استجابة الله لدعاء ابراهيم (وفى سورة ابراهيم ١٤ : ٢٨ « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ») وانه جعله معاونه فى بناء البيت حين بنياه على اسسه الاولى (البقرة ٢ : ١٢٤) ، فكأن اسماعيل كان ربيط البيت وكأن ابراهيم رزقه للقيام بهذا العمل بالذات . ومن هنا نعود من جديد الى قصة ربيط البيت (راجع الطبرى ١/١١٣٤) . ومما يبعث على السرور حقا ان الشريف الرضى قد رأى هذا الرأى من قبل دون نظر الى القضية من الزاوية التى نظرنا اليها منها ، فقال فى كتابه « حقائق التأويل فى متشابه التنزيل » (ص ١٧٦) تعليقا على الآية : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (البقرة ٢ : ٩٦) « ... فدل ذلك على انهما (ابراهيم واسماعيل) جعلا بناء البيت جهة من جهات القرية الى الله سبحانه فى اتباع امره والعمل لوجهه . فكأن فحوى هذا الكلام يحتمل ان يكونا « امرا بامر فاتبعاه ونصا [= استحثا] الى مدى فبلغناه . وهذا القول مما خطر لى ، ولم اجده لمن تقدمنى » .

الذبيح ، القرآن ، لا تنص على انه اسماعيل غير ان ذلك لا ينفى ان اهم ما أدّاه ابراهيم – فى رأى العرب – هو بناء الكعبة وكان مرتبطا به وباسماعيل (٦٤) بوصفه ابا للعرب • ومن ذلك يبدو ان قصة الذبيح كانت من التراث العربى ولم يحاول القرآن ان يعدّلها صراحة وانما تحاماها(٦٥) باغفال

---

(٦٤) تقول سورة البقرة ٢ : ١٢٣ – ١٢٧ ، : واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن • قال : انى جاعلك للناس اماما • قال : ومن ذريتى ؟ ، قال : لا ينال عهدى الظالمين • واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى • وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان : طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ••• واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا ، تقبل منا ، انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك وارنا مناسكنا ، وتب علينا انك انت التواب الرحيم • » •

(٦٥) الحق ان مركز ابراهيم من العروبة والاسرائيلية يسترعى الاهتمام ، فهو فى التوراة اسرائيلى لاشك فى اسرائيليته تطاول عمره حتى بلغ المائة دون ان يرزق بولد من امرأته سارة حتى رزقه وسماه اسحق (سفر التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الآيات ١ – ٥) غير انه كان رزق من قبل اسحق باسماعيل من جارية مصرية هى هاجر (الموضع نفسه آية : ٩) • وفى يوم فطام اسحق جاء اسماعيل يمزح ويسخر من ضرة امه الشيخة فكان من نتيجة ذلك ان ثارت غيرة سارة واصرت على طرد هاجر وولدها مهما كلف الامر • ورضخ ابراهيم لطلبها بوحى من الله ووعد منه بانه تعالى سيعوض اسماعيل بان يجعله (سلف) امة عظيمة (آية ١٣ ، ١٨) • وبعد صعوبات وصل اسماعيل وامه قاطعين التيه الى فاران (پاران فى النص الانكليزى) قرب العقبة • وهناك استقرا ، وزوجته امه بامرأة من أرض مصر (آية ١٩ ، وانظر معجم البلدان لياقوت ٣٢٣/٦ حيث يذكر ان فاران المذكورة جبال مكة بناء على اطلاقها على جبال الحجاز عموما) •

اما رواية القرآن فانها تجعل من ابراهيم ثائرا مصلحا حطم فى شبابه الاصنام فى مكان ما خارج فلسطين ثم ذهب الى فلسطين (الانبياء ٢١ : ٧) حيث رزق على الكبر اسماعيل واسحق (ابراهيم ١٤ : ٢٨) فهو بكونه ابا لسلسلة اسحق ثم يعقوب ثم يوسف ، اسرائيلى لاشك فى اسرائيليته • ومهما يكن من امر فقد كان ان اسكن ابراهيم من اهله بمكة حيث بنى هو وابنه اسماعيل البيت الحرام (ابراهيم ١٤ : ٢٦ ، البقرة ٢ : ١٢٣ – ٢٧) • وقد جعلت روايات القرآن اسماعيل رسولا (البقرة ٢ : ١٣٥ آل عمران ٣ : ٨٢ ، النساء ٤ : ١٦١) على عكس التوراة التى لم تعترف له بهذه الصفة ولم تتطرق اليها (راجع مادة اسماعيل : فى دائرة معارف ڤالنتاين اليهودية ص ٣٠٢) • اما المؤرخون العرب فقد روى الطبرى عن

الاشارة فى النص القرآنى الى اسم الذبيح • يضاف الى ذلك ان القرآن قد ذكر اسحق بوصفه مبشرا به ابراهيم[٦٦] بعد نهاية القصة مباشرة مما يرجح انه قصد بالذبيح اسحق ، وان كانت الآية : « واذكر فى الكتاب اسما : ان كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا »[٦٧] توحى بالقصة •

ابن الكلبى ان ابراهيم وابنه اسماعيل بنيا البيت بعد غرق قوم نوح ، وكان حول مكة قوم من العرب – هم جرهم – صاهرهم اسماعيل ، وقيل فى ذلك شعر :

وصاهرنا من أكرم الناس والدا فأبناؤه نحن ونحن الاصاهر •

وبعد وفاة اسماعيل ولى ابنه نبت (نابت : سيرة ابن هشام ، طبع جوتنجن ١٨٥٩ ، ص ١ ، وابن سعد ١ : ١/٢٩) وامه الجرهمية شؤون البيت • ثم « لم يكثر ولد اسماعيل فغلبت جرهم على ولاية البيت •• » (الطبرى ١/١١٣٠) • ومن ذلك يبدو ان ابوة اسماعيل للعرب جاءت من كونه ابا نسله من زوجه العربية • ويمكن ان يستنتج من هذا كله ان جرهم استقبلت اسماعيل وامه هاجر حين وصلا مطرودين من فلسطين ، فقدم اسماعيل نفسه على انه ابن نبى بنى اسرائيل فكان ذلك مدعاة الى اكبارهم واعجابهم • فنشأ بينهم وتعلم منهم العربية وتزوج فيهم (البخارى كتاب الانبياء : ٦٠ باب : ٨) وجاء ابراهيم لزيارة زوجه وابنه (البخارى الموضع نفسه ودائرة المعارف الاسلامية : مادة اسماعيل) فشارك فى بناء البيت وباركه واقام هناك وقتا عاد بعده الى اهله وخلف اسماعيل لسدانة البيت • وهكذا احتل اسماعيل المركز الذى يليق به بوصفه ابن نبى وتحقق وعد الله له بان يجعله امة (المصادر اليهودية تعتبر نسله قبائل الاسماعيليين الاثنتى عشرة من زوجه المصرية ، انظر دائرة معارف ڤالنتاين ص ٣٠٢) وصار اسماعيل أبا للعرب بكونه سلفا لنسله من عرب جرهم على النحو الذى اعتبر به العلويون وارثين للنبى عن طريق فاطمة • هذا ما تقول به الاصول فى بساطة ، والمسألة أعقد من ان يكفى للقطع فيها هذا المجال • وبقطع النظر عن الاصل التاريخى للقصة كلها رسخ فى أذهان العرب انهم ابناء اسماعيل (راجع نسب النبى – ص – الذى يصل الى اسماعيل – على اختلاف صوره – فى السيرة ١ – ٨ وفى ابن سعد ١ : ١/٢٧ – ٣٠) • وصارت هذه الاسطورة من التراث العربى حتى لقد انتقلت الى غير العرب ، فسماهم الروم الشرقيون – برواية المسعودى – سارا قينوس (= قيون سارة أى عبيدها) « طعنا منهم على هاجر وابنها اسماعيل » (التنبيه والاشراف ص ١٤٣) ، وعقب المسعودى على ذلك بقوله : « والروم الى هذا الوقت تسمى العرب سار قينوس » •

(٦٦) الصافات : ٣٧ : ١١٠ – ١١١ •

(٦٧) مريم ١٩ : ٥٣ •

ومما يلاحظ فى كتب الحديث والتاريخ ان منها ما يشير صراحة الى ان الذبيح كان اسحق بالذات[٦٨] تمشيا مع نص التوراة الواضح[٦٩] • ومهما يكن من امر ، فقد رسخ فى المجتمع العربى بعد الاسلام ـ والظاهر انه كان كذلك قبل الاسلام ايضا ـ ان شرف التضحية كان من نصيب اسماعيل، فكان ذلك مدعاة لرضاهم وفخرهم • وكان من حساسية العرب فى تطبيق ـ او تمثيل ـ هذه القصة انهم فى الاسلام كانوا يتحرجون من الذبح قبل الحلق او رمى الجمار[٧٠] ، اتماما لكل تفاصيل القصة قبل ختامها بالتضحية التقليدية • ولعله ليس من التكثر فى ضرب الامثلة ان العقيقة الاسلامية ـ وهى ماشية يضحى بها لدى بلوغ الغلام يومه السابع ـ ترتبط بهذا التقليد العربى الاسماعيلى ؛ فان من مراسيمها انه « اذا ذبح العقيقة تؤخذ صوفة ، فتستقبل اوداج الذبيحة ثم توضع على يافوخ الصبى حتى اذا سال الدم غسل رأسه ثم حلق بعد[٧١] •

ز ـ واذ بلغ بنا البحث هذا المبلغ ، نجد انفسنا فى مفترق طرق شتى تلتقى عند هذا المعنى • أولها ان التوراة ـ التى تلتقى مع القرآن فى وحدة القصص الدينى ومنه قصة الذبيح بوصفه اسحق ـ حين تعرض للناس تشبههم بالضان • ويرد فى العهد القديم لهذه المناسبة : « فرزهم لذبح وخصصهم ليوم القتل »[٧٢] ، وورد فى موضع آخر : « انزلهم كخراف للذبح وككباش مع اعتدة »[٧٣] ، وورد مثل ذلك فى مواضع أخرى • وكل هذه التشبيهات تشير الى عنصر الموت الذى يتردد فى نفوس

---

(٦٨) راجع مسند ابن حنبل ١/٣٠٦ ـ ٧ ، وانظر ابن الاثير ١/٣٨ حيث ذكر ان عمر وعليا والعباس بن عبدالمطلب وابنه عبدالله كانوا يذهبون الى ان الذبيح كان اسحق لا اسماعيل • وانظر كذلك عيون اخبار الرضا ص ١١٨ •

(٦٠) سفر التكوين : اصحاح : ٢٢ الآيات ٩ ـ ١٤ •

(٧٠) مسند ابن حنبل ١/٢١٦ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣١١ •

(٧١) مسند ابن حنبل ٥/١٨ •

(٧٢ ، ٧٣) سفر ارميا ، اصحاح ١٢ آية ٣ واصحاح ٥١ آية ٤٠ •

الانسان وهو العنصر الذى ينبع من كونه بمنزلة الضحية التى تنحر لله ؛ ففى الناس الموت الذى يحوم على رؤوسهم • وهذه بداية السلسلة التى تتصل بهذا المعنى الذى دلت عليه « صوفة » • ولولا خوف الاطالة لعرضنا لتفصيلات قصة شمشون الذى كان منذورا لله منذ ان حملته امه ، باعتباره منقذاً لبنى اسرائيل من تحكم الفلسطينيين ، وتركز ذلك النذر فى خصلات (ضفائر) شعره السبع ـ على الاساس الذى مر • ولما اطاع دليلة فوقفها على موضع سر الله منه سلبه الله قوته • ولم يعد اليه حوله الا بعد ان استغفر وتاب وعاد اليه مظهر نذره لله (شعره) فكان ان حطم المعبد على نفسه وعلى اعدائه(٧٤) • يضاف الى هذا ان الدكتور اسرائيل ولفنسون حاول ان يربط بين صوفة المكلف برمى الجمار للناس وبين معناها فى العبرية عن

---

(٧٤) سفر القضاة : الاصحاحان ١٣ و١٦ والكاتب مدين لهذه الملاحظة للزميل الدكتور خليل حاوى • ويجب ان نذكر هنا ما اشتهر به النبى (ص) من طول شعره (راجع مثلا ابن سعد ١ : ١٣٣/٢ ـ ٥) ونضيف اليه ان العلويين ، حتى القرن السادس ، كانوا يتميزون من غيرهم بالتحذيف وهو ارسال الشعر الذى بين العذار والنزعتين (راجع الغنية لعبدالقادر الجيلى ١٦/١) على هيئة صفيرتين مسبلتين على العنق (راجع معجم الادباء لياقوت ١٥١/٣ ، وخلاصة الاثر لمحمد المحبى ١٥٣/١) ، وظل هذا شعارهم حتى اختفى من تلقاء نفسه واستعيض عنه سنة ٧٧٣/ ١٣٧١ بعصائب خضر تلف على العمائم (راجع مثلا اخبار الاول للاسحاقى ، مصر ١٣١٠ ، ص ٤٠) • ولعل ذلك كله كان يتصل بالنذر القديم لله • ومن يدرى فربما لم يكن من الاشتطاط فى الخيال الزعم بان الضفيرتين ربما اشارتا الى قرنى كبش اسماعيل ، القرنين اللذين ذكر الازرقى انهما كانا فى الكعبة الى أيام عبدالله بن الزبير (انظر اخبار مكة ص ١٥٦ ـ ٧) • وبالاضافة الى ذلك فقد ذكر الازرقى ان كان « بمنى فى مكة مسجد الكبش الذى وجد ابراهيم الكبش عنده ثم اقتاده حتى ذبحه فى المنحر (ص ٤٠١) • وبقطع النظر عن هذه الدلائل فقد استعملت كلمة « قرن » فى العربية لتدل على الضفيرة (انظر كتاب أسماء المغتالين من الاشراف فى الجاهلية والاسلام لابى جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت ٢٤٥/٨٥٩) : رسالة ضمن مجموعة نوادر المخطوطات التى يصدرها الاستاذ عبدالسلام هرون ، المجموعة السادسة ، المجلد الثانى ص ٢٦١ ، القاهرة ٩٥٤) وكذلك انظر القاموس المحيط (٢٥٨/٤) حيث نص الفيروزابادى على ان لفظ القرنين يعنى الضفيرتين •

الحارس[٧٥] ، وهى محاولة ـ وان كانت متمحلة ـ فان فيهـا تنبيها الى صلة ومحاولة للبحث عن اصل تطمئن اليه النفس •

ح ـ واذا عدنا الى ارتداء الصوف الذى أخذه الصوفية ـ فى عرف الباحثين ـ عن الرهبان فانا نجده متصلا بالمبدأ نفسه عندهم ايضا • وذلك انهم كانوا يلبسونه فى القرون المسيحية الاولى فى مصر لان فيه عنصرا من الفناء وصلة بالضان الهالك • وكان لباس الكتان الذى يرتدى عند التعميد يسمى « رداء الخلود »[٧٦] لانه من مادة نباتية ليس فيها فناء الحيوان • ويقال ان فيثاغوراس واتباعه كانوا ـ قبل ذلك بقرون ـ يلبسون اردية بيضاء من الصوف [٧٧] أيضا • يضاف الى ذلك ان اليونانيين عموما كانوا يلبسون الخشن غير النظيف من الثياب بوصفها رمزا للموت لارتباطه بالحيوان حتى جاء اصحاب الافلاطونية الحديثة (نضجت فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين) فلم يأخذوا بهذا التفسير[٧٨]• ولابد ان نشير الى ان فيثاغوراس (ت٤٩٧ق•م) الذى كان يلبس الصوف على هذا الاساس ، تعلم فى مصر[٧٩] ، فلا بد انه اخذ هذا التقليد منها • ومهما يكن من امر فقد كان الصوف لباسا لعامة المصريين من قديم ، وقد روى ان حاكم مصر بين سنتى ١٢٠ و ١٢٤ الميلادية منع صغار الكهنة من الظهور بين الناس بملابس الصوف [٨٠] • والذى يعنينا من هذا كله ان كلمة « صوفى » ـ لأوائل ظهورها ـ جاءت من مصر ايضا لما اطلقت على عبدالله الصوفى النائر الاندلسى بمصر سنة ١٩٨-٨١٤[٨١] • واذا كان المصريون منذ ايام

---

(٧٥) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨٣ •

(76) Studies in Ancient and Medi-eval Thought, ed. by Walter I. Burghardt, New york 1949, i, 484-5.

(77) Fenelon: Abrege des vies des Ancient Philosophes P. 2

(78) Studies..... i, 485.

(79) Iambicus: Life of Pythagoras p. 9.

(80) Les Papyrus Fouad I No. 10, P. 21.

(٨١) تاريخ اليعقوبى ٣/١٧٤ •

فيثاغوراس لبسوا الصوف على أساس من الصلة بالحيوان الهالك فلم تتغير الدلالة فيما بعد ؟

ط ـ ولم يقتصر امر الصوف ولبسه على ـ الاساس المار الذكر ـ على اليهود والعرب والمصريين واليونانيين وحدهم ، وانما تعداهم الى مجوس الفرس الذين ذكر انهم يلفون على اوساطهم ـ حتى اليوم ـ زنارا يسمونه بالكستي و هو « شريطة بيضاء من صوف الغنم تغزلها نساء الكهان »[٨٢] ويستعمل البكتاشية حبلا كان يفضل ان يكون مغزولا من صوف الضحية التى تذبح باسم المريد الجديد للسبب نفسه[٨٣]. وكذلك ذكر ابن بطوطة فى زيارته لعمان سنة ٧٣٠ـ١٣٢٩ ان اكثر فقراء العجم كانوا يتقلدون كمر (حزام) الصحبة « وكان علامة مميزة لطريقة الشيخ ابى الحسن الاقصارانى »[٨٤] (وكان اصله من بلاد الروم) . ويقترن بهذا ان المجوس يرون ان ابراهيم (ع) انما كان زرادشت نفسه[٨٥] . ومن هنا يجيء احتمال ارتباط فكرة الصوف بمعنى الضحية والذبح العظيم ايضا ؟ وذلك يتجه الى الفكرة التى أثارها صوفة ربيط الكعبة فى أيام الجاهلية الاولى . واذا التفتنا الى أن اكثرية الصوفية المسلمين كانوا من الفرس وان وصل

---

(٨٢) ملوك العرب لامين الريحانى ص ٢٤٥ . راجع ما يقوله عباس العزاوى فى مقدمته لكتاب « تفضيل الاتراك على سائر الاجناد » لابن حسول ، اسطنبول ١٩٤٠ ، ص٣٤ ، من أن العرب والعجم يلتقون فى ابراهيم « لان العجم كما يقال من ولد اسحق ورسول الله (ص) من ولد اسماعيل » ذكر ذلك تعليقا على اضافة الصابى الديلم الى العرب . يضاف الى هذا ان ابن الاثير ينقل ان افريدون ـ وهو يقابل نوحا عند الفرس ـ كان أول من سمى بالصوفى (الكامل ١/٢٩) . اما اللفظ الفارسى القديم الذى يقابل هذا الاصطلاح العربى فقد جاء فى دبستان المذاهب بلفظ « ديژه درون » بمعنى منقى القلب و « روشندل » بمعنى مشرق القلب و « ويگانه بين » بمعنى الناظر الى الواحد (راجع ص ٤٧٣) . ما عن الزناد نفسه فراجع اشارة ابى يزيد البسطامى فى ترجمته فى الرسالة القشيرية .

(83) Birge: The Bektashi Order of Dervishes P. 181.

(٨٤) رحلة ابن بطوطة ١/١٦٥ .

(٨٥) ملوك العرب ص ٢٤٥ .

التصوف باللباس الظاهرى وحده قد توجه اليهم فان سبق أجـــدادهم الى لبسه على هذا الاساس المقترح ربما ساعد على توثيق هذه الفكرة .

ومن جهة أخرى كان من براهمة الهنود ـ برواية ابن الجوزى عن النوبختى (توفى حوالى سنة ٣٠٠ـ٩٤٢) ـ من يعتقد نبوة آدم وابراهيم فقط[٨٦] . ويروى ان من ارتد منهم كان يحلق شعر رأسه ووجهه كله كله ثم يذهب فيسجد للبقر[٨٧] . فربما كان هذا الحلق يعنى اخراجه من الارتباط بالحيوانية التى تتصل بها عبادته ونفيه عن الله عقوبة مؤقتة على ارتداده، ثم يعود اليه اعتباره بنبات شعره من جديد . ومما يستحق التنويه به هنا ان هذا التقليد قد دخل التصوف الاسلامى وصار من طابع القلندرية [٨٨] . ويحسن فى هذا المجال ان نذكر أيضا ان الهنود يعتبرون بوذا التجسـد العاشر لخليل الله[٨٩] ، وذلك أمر يعود بنا الى البداية من جديد . ومـن يدرى فربما كان للخصلة من الشعر التى يبقيها الهندوكى فى رأسه صلة بدلالة الصوفة القديمة التى وضعها الغوث بن مر والبدريون وعلي بن ابى طالب ومن قبلهم ضفائر شمشون السبع عنوانا على انهم جميعا بدن الرحمن . واذ التفتنا الى دلائل جانبية وجدنا نيكلسون يذكر ان اسم الصوفى عنـد الفرس والترك كان يستعمل فى شعرهما أحيانا للدلالـة على المرائى او الـكافر المنكر للوحى[٩٠] ، فلعلهم كانوا يريدون بذلك انه يتظاهر للناس فى اهاب حمل بينما هو فى الواقع على النقيض من ذلك . ويوثق هذا ان القلندرية ـ وهم طائفة من صوفية الفرس والترك ـ كانوا يتميزون بأنهم « يلبسون جلود الضان »[٩١] ، وتلك عودة الى الاضاحى من جديد .

بقى أمر ربما بدا غريبا ، هو اشتهار الترك باطلاق شواربهم حتى بعد

(٨٦ ، ٨٧) تلبيس ابليس ص ٦٥ .
(٨٨) راجع البداية والنهاية ١٤/٢٧٤ .
(٨٩) ملوك العرب : هامش ص ٢٤٦ .
(٩٠) فى التصوف الاسلامى ص ٦٨ .
(٩١) الانوار النعمانية لنعمة الله الحسينى ص ٢٢٦ .

أن دخلوا الاسلام[٩٢] فهل يعنى هذا ما عنته صوفة الغوث وخصلة البوذى وشعر شمشون وكستى المجوس لتضاف حلقة جديدة الى السلسلة التى بدأت بقصة ابراهيم وولده الذبيح ؟ ثم ان البكتاشية كانوا يستعملون فراء الضان فى مجالسهم[٩٣] ويسمون المريد فى تكريسه خروفا او حملا[٩٤] وهم ترك كما هو معروف .

ى ـ ولابد أن نشير الى اخوان الصفا عودا على بدء ، فهم ـ وقد نعتوا أنفسهم بالصوفية ـ قد مزجوا جوهر هذه الدلالات كلها ـ بقدرتهم الفذة على هضم الافكار وتمثلها ـ فذكروا « انما القربان قربانان : شرعى وفلسفى .. فأما القربان الشرعى فهو المأمور به فى الحج . وأما الفلسفى فهو مثل ذلك ، الا أن النهاية فيه التقرب بالاجساد الى الله سبحانه .. كما فعل سقراط»[٩٥] . وأضافوا الى ذلك بيان قربانهم الذى يجمع هذه الخصال كلها بأصليها شرعيها وفلسفيها ، « وهو التقرب بما تقرب به ابراهيم من الكبش الممنون به عليه فداء لولده .. »[٩٦] .

وبعد هذا كله يقدم عبدالقادر الجيلى (ت ٥٦١/١١٦٦) دليلا جديدا على هذه النظرة ، فانه ، لما قر فى نفسه سلوك طريق العلم والعمل ، قال لامه ـ وكان شابا يتيما : « هيئى لله ، فانى أريد المسير الى بغداد لاشتغل

---

(٩٢) ذكر ذلك أحمد بن فضلان رسول المقتدر العباسى الى ملك الصقالبة سنة ٣٠٩/٩٢١ (ص ١٠٠ ـ ١٠١ وانظر كذلك ص ١٠٦ ـ ١٠٨) . واما الصوفية الترك فقد قصد دمشق منهم مائة برياسة صوفى اسمه براق سنة ٧٠٦/١٣٠٦ فلم يمكنوا من دخولها فعادوا من حيث اتوا . راجع البداية والنهاية ١٤/٤١ .

(93, 94) Birge: The Bektashi Order of Dervishes P. 176, 181, 189.

وللاستاذين توفيق وهبى امال تطرق فيها الى هذه النقطة أيضا .

(٩٥ ، ٩٦) رسالة اخوان الصفا ٤/٢٠٨ . ومما يجب ان يذكر هنا ان ابا العلاء المعرى قد تنبه الى هذه النكتة فقال :

وانا ـ ولا كفران لله ربنا ـ لكالبدن : لا تدرى متى حتفها البد

انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطىء ، الطبعة الثانية ، ص ٤٥٩ .

بالعلم وأزور الصالحين »[٩٧] ، فقالت له أمه ـ بعد سؤال وجواب :ـ « يا ولدى اذهب فقد خرجت عنك لله ، وهذا وجه لا أراه الى يوم القيامة[٩٨] . ولما كبر واشتهر جعل يقول : « يا ربى كيف أهدى لك روحى، وقد صح بالبرهان انها لك ؟!»[٩٩] ويختم عبدالرزاق الكاشانى (ت ٧٣٥/ ١٣٣٥) هذه السلسلة بنصه الصريح على التطابق بين المقصود من معنى لفظ « صوفى » و « بدنة » فى بيئات التصوف ؛ فقال فى اصطلاحاته : « البدنة كناية عن النفس الآخذة فى السير القاطعة لمنازل السائرين ومراحل السالكين »[١٠٠] . ولعل من كمال الدلالة على هذه المعانى الاشارة الى أن الصوفية وصفوا بعبارة « أهل الله »[١٠١] كما كان الامر مع أهل مكة ، كان ذلك دون ملاحظة لهذه السلسلة من المعانى وهذه تتمة للاتصال بين الاصل والفرع وسلك للمقدمات ونتائجها فى خيط واحد .

يا ـ من هذه المصادر كلها تتجمع الدلائل على أصل آخر للتصوف يجر معه لباس الصوف بوصفه مجرد قماش يدل على الفقر والتواضع الى فكرة أعمق وارتباط قوى . ومن السذاجة أن يكون اللباس من حيث هو قماش خشن أصلا لفكرة عميقة هذا العمق. ان المفروض أن يحمل الاصل فى جوهره بذرة تطوره فى المستقبل ولو على وجه ضيق ، ولكن الصوف لم يثبت للزمن أكثر من قرن حتى تطور الى خرقة ومرقعة وخيشة[١٠٢]

(٩٧ ، ٩٨) غبطة الناظر فى مناقب الشيخ عبدالقادر (منسوب على ابن الجوزى) ص ٤ .

(٩٩) المصدر نفسه ص ١٨ .

(١٠٠) اصطلاحات الصوفية ص ١٤ .

(١٠١) انظر محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربى ص ٢٤ ، ٢٦ الخ ، وراجع المجلى للاحسائى ص ٢٦١ سطر ١٢ ، وطرائق الحقائق ١/٥٤ عن كشكول العاملى ، الجزء الخامس .

(١٠٢) الكواكب السائرة فى اعيان المئة العاشرة ١/٩٢ (ترجمة محمد الشربينى ت ٩٢٧/١٥٢٢) .

وصارت مادته ـ بعد الصوف من جلد[١٠٣] ، وشعر[١٠٤] ، وليف[١٠٥] ، وخيش (= جوت)[١٠٦] ، وبقى اسم التصوف عالقا بالحركة كلها • ولو كان الامر مؤصلا من اللباس ما ثبت الاسم بزوال المسمى ، ولتطور مع مستحدثات الصوفية بمرور الزمن • ولو كان الصوف أساسا عميقا هذا العمق فى التصوف ما ساغ أصلا ان يكون الجنيد ، وهو من أهم بناة التصوف ، خزازا[١٠٧] يتعاطى عملا يناقض الاساس الذى يدعو اليه ، وما كان للحسين بن منصور الحلاج ، وهو شهيد الصوفية (قتل سنة ٣٠٩/ ٩٢٠) ورمز لهم ، ان يرضى لنفسه أن يكون حلاجا (للقطن) او حتى ذا كرامة تتعلق بهذا النسيج[١٠٨] •

يب ـ من هذا كله ، ونفوذا مع « صوفة » ، نستطيع أن نزعم أن الاصل الذى نلتزمه ـ وهو الدلالة على الضحية والفداء ـ قد حوى فى داخله منذ البداية ـ أيام الجاهلية وقبل ظهور حركة الزهد الاسلامى ـ بذرة الفناء التى ظهرت فيما بعد فى التصوف ، وكذلك بذرة الوجد والمجاهدة والبتولة وكل ما يمكن أن يتطور عن فكرة عميقة أصيلة • وكل هذا يسقط اذا اعتمدنا قماش الصوف أصلا للتصوف • وبغير هذا التفسير الذى نفترضه يصعب تبرير القول الذى ينسب الى حاتم الاصم (ت ٢٣٧/ ٨٤١) انه « من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت : فالموت الابيض الجوع ، والموت الاسود احتمال اذى الناس والموت الاحمر مخالفة لنفس ، والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض »[١٠٩]

---

(١٠٣) المصدر نفسه ٢/١٩٠ (ترجمة عبيد الدنجاوى ت ٩٣٥/ ١٥٣٠) •
(١٠٤) التعرف ص ٥ •
(١٠٥) الكواكب السائرة ١/٩٢ •
(١٠٦) المصدر نفسه ١/٧٨ (ترجمة محمد المغربى ت ٩١١/١٥٠٥) •
(١٠٧) تاريخ بغداد ٧/٢٤١ •
(١٠٨) المصدر نفسه ٨/١١٤ •
(١٠٩) طبقات الصوفية ص ٩٣ •

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نجد تعليلا منطقيا لقول سهل بن عبدالله التسترى (ت ٢٨٣/٨٩٦) : « الصوفى دمه هدر وملكه مباح »[١١٠] ، ولقول رويم البغدادى (ت ٣٠٣/٩١٥) فى تحديده للتصوف : « أقل ما فى هذا الامر بذل الروح[١١١] ، وهكذا لا تعود حركة الحلاج شذوذا نحاول ربطه بأمور ربطه بأمور دخيلة على التصوف وان كان فيها شيء من الحقيقة . وأخذ التصوف من صوفة الضان يصلح أن يقوم تفسيرا للسبب الذى حمل القاضى سراج الدين ـ لما اشتكى اليه الناس طريقة جلال الدين الرومى (ت ٦٧٢/١٢٧٣) ـ على أن يتمثل بقوله : كل شاة برجلها ستناط[١١٢] تشبيها للناس بالضان لسهولة مأخذه وقرب تناوله . وهذا الفهم للتصوف يصلح أن يوجه نصيحة ابراهيم الدسوقى (ت ٦٧٦/١٢٧٧) للمريدين بقوله : « سألتكم بالله يا أولادى أن تكونوا خائفين من الله تعالى ، فانكم غنم السكين وكباش الفداء وخرفان العلف ، يا من تنور شواهم قد أوهج ، ويا من السكين لهم تحد وتجذب .. »[١١٣] ، ويصلح كذلك أن يعلل قوله ، حين عرض لتغلغله فى سلاسل الاولياء ، : « أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه »[١١٤] .

ومن أطرف الامثلة وأبسطها على هذه الدلالة ، ما جاء على لسان صوفى متأخر مجهول فى موشح ذكر فيه الصوفية وعرض للباسهم فقال :

كن بالصفا موصوف والبس صنوف
لو أن الصلاح بالصوف طار الخروف[١١٥]

---

(١١٠) كشف المحجوب ص ٤١٠ .
(١١١) الرسالة القشيرية ص ١٦٦ .
(١١٢) مناقب العارفين لاحمد الافلاكى (ت ٧٦٠/١٣٥٩) ، ص ١٦٦ .
(١١٣ ، ١١٤) طبقات الشعرانى ١/١٤٤ .
(١١٥) مجموعة نصوص صوفية منسوخة سنة ١١٢٨/١٧١٦ فى مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن رقم (Or. 3684) .

وهكذا لا نعدم أمثلة واضحة لم يقصدها الصوفية لذاتها وانما قالوها دون وعى ، على ان هذا الفهم لأصل التصوف يقوم على أساس ربما كان مطابقا لجوهر التصوف وواقعه العميق بعد حجب المتصوفة أنفسهم له لغاية قصدوها وزاده الباحثون بعدا وصعوبة • وهذا يعنى أن تقليد الزهاد للرهبان فى لبس الصوف انما كان أحياء لسنة قديمة دعت اليها من جديد الضرورات الاجتماعية وبذلك يكون استعماله نتيجة وليس مقدمة • ثم ان الاعتماد على هذا الاصل الذى ندعو اليه يذلل كثيرا من الصعاب ويصل بداية التصوف الاسلامى المبتورة بتيار التاريخ ويجعله كائنا حيا حمل فى بذرته ارثه من السلف البعيد من جهة ، ويسلكه فى الحركات الصوفية فى الاديان والشعوب الاخرى التى لم تختلف عنه الا فى التسمية من جهة أخرى • وبذلك تتسق الحركات المتفقة فى الاصول وتختلف فى الطابع الخاص الذى يتميز به كل منها بفعل الظروف والبيئة •

ولنا أن نقرر بعد أن التصوف كان حركة انسانية تنبعث من الحساسية الشديدة والعاطفة الرقيقة وعوامل أخرى نفسية واجتماعية حركت فى طائفة من الناس ـ وما زالت تفعل فى كثير من بقاع الارض ـ الميل الى الزهد والعزلة فتطورا مع الزمن وبفعل عوامل التطور الى أشكال معقدة جديدة تتصل بالاصل البعيد من حيث المبدأ والجوهر • وما دامت الشعوب والملل المجاورة فرسا وهنودا ، بوذيين ويهودا ونصارى[١١٦] قد صدرت عن الزهد وطورته الى مفهوم التصوف عندنا ، أفلا يكون من الظلم أن ينسب العجز الى العرب ـ دون سائر الملل ـ عن أن يكون تصوفهم صادرا عن بيئتهم ؟!• والجوادب على السؤال بالايجاب يعنى احتمال صحة ما بيناه وأطلنا فيه عرضا وشرحا وتحليلا وتمثيلا •

وختاما ، لعل فى كل هذه التجميعات ما يؤسس نظرا جديدا الى التصوف او يؤرخ ـ على الاقل ـ انطلاقة الى هدف محدد جديد يتناوله الباحثون على بصيرة •

---

(١١٦) راجع دبستان المذاهب ص ٤٧٣ •

ثبت المراجع الواردة فى هوامش البحث

١ ـ المراجع العربية :

- اخبـار الاول للاسحاقى (محمد بن عبدالمعطى بن ابى الفتـح) المتوفى ١٠٦٠/١٦٥٠ مصر ١٢٩٩/١٨٨٢ .
- اساس البلاغة للزمخشرى (محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى) المتوفى سنة ٥٣٨/١١٤٤ ، مصر .
- الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ، مطبعة دار الـكتب المصرية ١٩٣٦ .
- الانساب للسمعانى (ابى سعيد عبدالـكريم بن ابى بكر التميمى) المتوفى سنة ٥٤٢/١١٤٨ ، ليدن ١٩١٢ .
- اصطلاحات الصوفية للكاشانى (عبدالرزاق بن جمال‌الدين السمرقندى) المتوفى سـنة ٧٣٥/١٣٣٥ ، تحقيق الدكتور الويز سپنسر ، كلـكتة ١٨٤٥ .
- الانوار النعمانية فى بيان النشأة الانسانية لنعمة الله الحسينى (مؤلف سنة ١٠٩٨/١٦٨٦ ـ ٧) ايران ١٢٨٠/١٨٦٣ .
- بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الآلوسى المتوفى سنة ١٣٤٢/١٩٢٤ ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٣/١٩٢٤ .
- البداية والنهاية لابن كثير (عمادالدين ابى الفداء اسـماعيل القرشـى الدمشقى) المتوفى سنة ٧٧٤/١٣٧٣ ، مصر ١٣٥٨/١٩٣٧ .
- تاج العروس لمحمـد مرتضى الواسطى الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥/ ١٧٩٠ ـ ٦١ مصر ١٣٠٧/١٨٨٩ ـ ١٠ .
- تاريخ الامم والملوك للطبرى (ابى جعفر محمد بن جرير) المتوفى سنة ٣١٠/٩٢٢ ـ ٣ ليدن ١٨٧٩/١٩٠١ .
- تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على الجزء الخامس بغـداد ١٩٥٥ .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لابن الفرضى (الحافظ ابى الوليد عبدالله بن محمد الازدى) المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٢ ـ ١٣ مصر ١٩٥٤ .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (الحافظ ابى بكر أحمد بن على) المتوفى سنة ٤٦٣/١٠٧١ دمشق ١٩٤٥ .
- تاريخ مكة للازرقى (محمد بن عبـدالله بن أحمد) المتوفى بعـد سنة ٢٤٤/٨٥٨ ـ ٩ تحقيق وستنفلد ليبزج ١٨٥٨ .
- تاريخ اليعقوبى (أحمد بن أبى بعقوب .. بن واضح الاخبارى) المتوفى سنة ٢٨٤/٨٩٧ النجف ١٣٥٨/١٩٣٧ .

- تاريخ اليهود فى بلاد العرب للدكتور اسرائيل ولفنسون القاهرة ١٣٤٥/١٩٢٧ .
- تحقيق ما للهند من مقولة للبيرونى (ابى الريحان محمد بن أحمد) المتوفى سنة ٤٤٠/١٠٩٨ - ٩ لندن ١٨٨٧ .
- التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق للدكتور زكى مبارك مصر ١٣٥٧/١٩٣٨ .
- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى (أبى بكر محمد بن اسحق البخارى) المتوفى سنة ٣٨٠/٩٩٠ مصر ١٣٥٢/١٩٣٣ .
- تلبيس ابليس لابن الجوزى (جمال الدين ابى الفرج عبدالرحمن البغدادى) المتوفى سنة ٥٩٧/١٢٠٧ مصر ١٣٤٠/١٩٢٢ .
- التنبيه والاشراف للمسعودى (ابى الحسن على بن الحسين الشافعى) المتوفى سنة ٣٤٦/٩٥٦ مصر ١٣٤٦/١٩٢٧ .
- جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمد الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥/١٢٦٥ حيدر اباد ١٣٣٢/١٩١٤ .
- حقائق التأويل فى متشابه التنزيل لشريف الرضى (ابى الحسن محمد بن الحسين بن موسى) المتوفى سنة ٤٠٦/١٠١٥ النجف ١٣٥٥/١٩٣٦ .
- حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى (أحمد بن عبدالله بن أحمد) المتوفى سنة ٤٣٠/١٠٣٩ مصر ١٩٣٥١/١٩٣٢ .
- خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر لمحب الدين المحبى المتوفى سنة ١١١١/١٧١٠ مصر ٢٢٨٤/١٨٦٧ - ٨ .
- (كتاب) الرجال للنجاشى (ابى العباس أحمد بن على بن العباس) المتوفى بين سنتى ٤٢٧ و٤٤٠/١٠٣٦ و١٠٤٩ كلكته ١٣٣٠/١٩٢٢ .
- رحلة ابن بطوطة (ابى عبدالله اللواتى الطنجى) المتوفى بعد سنة ٧٧٠/١٣٤٩ مصر ١٢٨٧/١٨٧٧ .
- رسائل اخوان الصفا (مؤلفة حوالى سنة ٣٥٢/٩٦٣) تحقيق خيرالدين الزركلى مصر ١٣٤٧/١٩٢٨ .
- رسالة ابن فضلان (أحمد بن العباس) رسول المقتدر الى ملك الصقالبة سنة ٣٠٩/٩٢١ تحقيق سامى الدهان دمشق ١٩٥٩ .
- رسالة للاستاذ توفيق وهبى فى انظمة البكتاشية ومراسيمهم كتبت بناء على رجاء من الكاتب .
- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى المتوفى سنة ١٢٢٦/١٨١١ طهران ١٣٠٧/١٨٨٩ - ٩٠ .
- صحيح البخارى (ابى عبدالله محمد بن اسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦/٨٧٠ ليدن ١٨٦٤ .

.. الصوفية فى الاسلام لرينولد نيكلسون وترجمة نورالدين شريبة مصر ١٩٥١ .
- طبقات ابن سعد (محمد الزهرى) المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٤ ليدن ١٣٢٢ /١٣٥٩/١٩١٧ - ٤٠ .
- طبقات الصوفية - للسلمى (ابى عبدالرحمن) المتوفى سنة ٤١٢/١٠٢١ مصر ١٩٥٣ .
- طبقات المعتزلة لابن المرتضى الزيدى (أحمد بن يحيى ٧٦٤ - ٨٤٠/ ١٣٦٣ - ١٤٣٧ ، بيروت ١٩٦١ .
- الطبقات الكبرى للشعرانى (ابى المواهب عبدالوهاب) المتوفى سنة ٩٧٣/١٥٧٩ مصر ١٩٢٥ .
- العقيدة والشريعة فى الاسلام لاگناس گولد تسيهر وترجمة محمد يوسف موسى وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسن عبدالقادر مصر ١٩٤٦ .
- العهد القديم (النص العربى) طبع المطبعة الامريكانية بيروت ١٨٩٩ .
- عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمى (محمد بن على بن الحسين بن موسى) المتوفى سنة ٣٨١/٩٩١ ، ايران ١٣٧٨ (الارجح ١٣١٨) .
- غبطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبدالقادر (ينسب الى ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢/١٤٤٨) كلكته ١٩٠٩ .
- الغنية للشيخ عبدالقادر الجيلى المتوفى سنة ٥٦١/١١٦٦ مصر ١٩٥٦ .
- كتاب الفهرست لابن النديم (ابى الفرج محمد بن اسحق) المتوفى سنة ٣٨٥/٩٩٥ مصر ١٣٤٨/١٩٣٠ .
- فى التصوف الاسلامى لرينولد نيكلسون وترجمة الدكتور ابى العلاء عفيفى مصر ١٩٤٧ .
- القاموس المحيط للفيروزابادى (مجدالدين ابى الطاهر محمد بن يعقوب الصديقى) المتوفى سنة ٨١٧/١٤١٤ ، مصر ١٩٣٨ .
- الكامل لابن الاثير (على بن محمد الجزرى) المتوفى سنة ٦٣٠/١٣٢ - ٣ مصر ١٣٠٣/١٨٨٦ .
- الكواكب السائرة فى اعيان المائة العاشرة لنجم‌الدين الغزى المتوفى سنة ١٠٦٢/١٦٥١ الجزء الاول والثانى فقط بيروت ٩/١٩٤٥ .
- اللمع للسراج (ابى نصر عبدالله بن على الطوسى) المتوفى سنة ٣٧٨/ ٩٨٨ ليدن ١٩١٤ .
- المجلى لمحمد بن ابى جمهور الاحسائى المتوفى سنة ٩٠٢/١٤٩٦ - ٧ طهران ١٣٢٩/١٩٣١ .
- محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربى (محمد بن على الطائى) المتوفى سنة ٦٣٨/١٢٤١ ، مصر ١٣٢٣/١٩٠٦ .
- مروج الذهب للمسعودى مصر ١٢٨٣/١٨٦٦ - ٧ .
- مسند ابن حنبل (الامام أحمد) المتوفى سنة ٢٤١/٨٥٥ مصر ١٣١٣/ ١٨٩٥ - ٦ .

- معالم العلماء لابن شهر اشوب (رشيدالدين ابى جعفر محمد بن على السروى) المتوفى سنة ١١٩٢/٥٨٨ طهران ١٩٣٢/١٣٥٣ ٠
- معجم الادباء لياقوت الحموى (شهاب‌الدين ابى عبدالله بن عبدالله الرومى البغدادى) المتوفى سنة ١٢٢٨/٦٢٦ مصر ١٩٣٦/١٣٥٧ (مجلة) المعرفة (تحرير عبدالرزاق الاسلامبولى) : مقال للشيخ مصطفى عببدالرازق فى اشتقاق كلمة : صوفى ، عدد يونيو ١٩٣١ ، السنة الاولى ص١٤٩ـ١٥٢ ٠
- المقدمة لابن خلدون ((ابى يزيد عبدالرحمن بن محمد) المتوفى سنة ١٤٠٥/٨٠٨ ـ ٦ بيروت بلا تاريخ ٠
- الملل والنحل للشهرستانى تحقيق أحمد فهمى ابراهيم مصر ١٩٤٨ ـ ٩ ٠
- ملوك العرب لامين الريحانى بيروت ١٩٢٤ ٠
- وفيات الاعيان لابن خلـكان (ابى العباس أحمد بن ابراهيم) المتوفى سنة ١٢٨٣/٦٨١ مصر ١٨٥٨/١٢٧٥ ـ ٩ ٠

٢ ـ الـكتب الفارسية :

- دبستان المذاهب ينسب الى ميرزا محسن الـكشميرى المتوفى سنة ١٠٨١ أو ١٦٧١/١٠٨٢ أو ١٦٧٢ طبع الهند ١٨٠٩/١٢٢٤ ٠
- رياض العارفين لرضا قلى هدايت (أمير الشعراء) المتوفى حوالى سنة ١٨٦٣/١٢٨٠ طهران ١٩٧٣/١٣١٦ ٠
- كشف المحجوب للهجويرى (ابى الحسن على بن عثمان الجلابى الغزنوى) المتوفى بعد سنة ١٠٧٦/٤٦٥ لننغراد ١٩٢٦ ٠
- مجالس المؤمنين للقاضى نورالله الشوشترى المقتول حوالى سنة ٩٩٣/ ١٥٨٥ طهران ١٨٥٢/١٢٦٨ ٠
- مناقب العارفين لاحمد الافلاكى المتـوفى سنة ١٣٥٩/٧٦٠ ، انقـرة ١٩٥٩ ٠

٣ ـ الـكتب الافرنجية :

Birge, J. K.,: The Bektashi Order of Dervishes, London, 1937.
Encylopaedia of Islam, Vol. iii
Fenelon: Abrége des vies des Ancient Philosophes, Paris 1824.
ولهذا الـكتاب ترجمة عربية بقلم عبدالله‌حسين مطبوعة فى مطبعة الجوائب ، اسطنبول ١٨٨٤/١٣٠٢ ـ ٥ ٠

Iambicus: The Life of Pythagoras, Translated from Greek by Thomas Taylor, London 1920.

Les Papyrus Fouad I, ed. by A. Bataitles, O. Gueraud and P. Tauguet, Le Caire, 1939.

Studies in Ancient and Medi-eval Thought (Tradito), ed, by J. Quastin & S. Kuttner Vol. i, New york 1943.

Valentine's Jewish Encyclopaedia, ed. by a. M. Hyamson & Dr. A. M. Silverman, London 1938.